النظام الاقطاعي

في القرون الوسطي

ساد اوروبا الحكم الاقطاعي في القرون الوسطي فصبغت بصبغته الشؤون العسكرية والاجتماعية وحق التملك ولاتزال بعض آثاره باقية حتى يومنا هذا ·

ومنشأ النظام الاقطاعي هو أن الملوك والامراء حينما كانوا يستولون على الممالك المفتتحة كانوا يكافئون قوادهم بمنحهم واردات بعض الاراضي · ففي عهد آل (ميرو فنجيان) حول الولاة الذين كانوا ينصبون باسم دوك حق جباية ضرائب الاراضي التي كانت تقع في لواء روائهم · وكان الكونت موظف بمعية الدوك بجمع الضرائب وبفصل الدعاوي في الاقطاعات الداخلة في دائرة اذنه ويقود الجند وهذا ايضاً كان يخص بضرائب بعض الاراضي لقاء راتبه · وكان الفيكونت والماركيز والبارون من اركان الموظفين ايضاً وكانت تسمى الاراضي التي يختص بها اولئك الموظفون لقاء رواتبهم اقطاعاً ·

ولما دب الضعف على الحكومة المركزية في عهد (الدول [illegible]) اخذ الولاة والعمال يستبدون بالسلطة فيحوزون على بعض امتيازات بمساعدة الملك لجعل الوظيفة قيد الحيات ثم ملكاً لهم يتوارثه الابناء عن الآباء كما جاء في مرسوم (كيارسي) ٢٤٦ وهكذا اصبح الولاة والعمال يمتازون في اداراتهم يتصرفون بالاراضي المقطعة لهم تصرف الحاكم المطلق المطاع والحاكم :

وقد كان لكبار الامراء المنصوبين على الاقطاعات من قبل الملك رأساً ان يوجهوا الاقطاعات على رجالهم في داخل حكوماتهم كما ان اواسط الامراء كالفيكونت والماركيز المرتبطين من جهة الاقطاع بكبار الامراء كالدوك والكونت كانوا يقطعون من دونهم وهكذا كان الاقطاع على تسلسل في درجاته ينتهي بسلطة الملك ذلك هو اصل النظام الاقطاعي ·

ولقد كان صاحب الاقطاع متبوعاً بالنسبة لمن هو دونه وتابعاً بالنسبة لمن هو فوقه · اما كبار التابعين فكانوا من كبار الامراء الذين يتبعون الملك مباشرة · وهؤلاء في فرنسا

الميادين . فقد اعتدنا في الماضي امر [illegible] ارباب [illegible] الجديدة [illegible] في امور الحياة الحديثة في حين ان ذلك من الشؤون الهامة التي [illegible] التي لا [illegible] . وجود اشخاص [illegible] . لا تزال فكرة الانتقام الفرد من المجرم [illegible] والدولة [illegible] ازالة العقاب عن [illegible] الاجرام وان [illegible] ذلك عدم [illegible] المجرم [illegible] عليه .

ما يجب ان [illegible] المجرم — ان هذه الفكرة [illegible] لانها تعرض العقاب [illegible] دليلاً على [illegible] ازالة العقاب [illegible] فكرة [illegible] على [illegible] الى [illegible] درجة [illegible] . ان الجرم شر وان [illegible] المجرم الى [illegible] . يجب ان يجعل المجرم على [illegible] يستحق عليه الجزاء [illegible] . كتب سقراط رسالة الى [illegible] يقول [illegible] الآن [illegible] وقد حل [illegible] سقراط [illegible] سقراط [illegible] .

واجب القاضي — يجب على القاضي الذي [illegible] ان يكون [illegible] العادل [illegible] المحافظة [illegible] البشرية [illegible] والاصلاح . ان الحكومات اليوم [illegible] المجرم [illegible] الاجتماعية [illegible] الاجتماعات [illegible] والحملات [illegible] . ولا ريب ان هذه [illegible] خطوة كبيرة في سبيل [illegible] الاستفادة منها .

[illegible] — ان [illegible] وهي ان [illegible] في الاخلاق [illegible] الاخلاق [illegible] كل شخص [illegible] الادب [illegible] من [illegible] التاسع [illegible] الناس [illegible] ومن تحت [illegible] .

ان هذه الخواطر التي املتها علي فكرتي هي نتيجة الاجتهاد العقلي ولا تخالف في [illegible] مدة عدة سنوات قضيتها في خدمة الدولة .

مزارعهم للامراء فقط دون ان يقوموا بتكليف آخر غير انهم لا يتمتعون بحق الحماية ·

الثالثة — فئة الارقاء وهؤلاء هم ارقاء الارض المكلفون بزراعتها وخدمتها · كانوا يعتبرون ملكا لها ينتقلون معها بيعاً وشراء ولكنهم لا يباعون كالارقاء العاديين ·

الامتيازات الاقطاعية

كان لزعماء الاقطاعات حقوق وامتيازات واسعة جدا منها الحقوق العسكرية وهي صحبة التابع لمتبوعه في الخدمة العسكرية مع كل رجاله والتضحية دونه في الحرب · ومنها الحقوق القضائية وهي حق الزعيم بفصل الدعاوى عرفا فلا يستأنف حكم من الحكامة كما وان القضاة ينصبون في المدن من قبله وينفذون الاحكام باسمه · ومنها الحقوق المالية وهي — عدا الخراج الذي يأخذه من الاتباع والعامة — عبارة عن واردات المكوس والاجر النقدي والتركة والاموال التي تخلف دون وارث وغنائم السفن التي تصطدم بالساحل فتغرق ورسوم نقل وانتقال الاقطاع وسائر الاموال الاميرية كاموال السكة كانت تضرب باسمه · ومنها الحقوق العرفية وهي اسوأها فقد كان الزعيم يتصرف بحقوق القوم تصرفا مطلقا فيتهم من شاء ويصادر من شاء ويحجر من شاء فكان الفلاح الحر يقضي جزءاً من السنة في خدمة الزعيم بنفسه وماشيته دع ما يدفع من ضرائب باهظة لا حد لها · وكان الصيد والقنص وتربية الحمام من حقوق الزعيم الخاصة بل كثيراً ما اعدم الناس لتجرئهم على الصيد بسبب مطاردة الزعيم او لرميهم احدى حماماته · اما التابع الذي يحرف عن واجب الاخلاص فيضبط اقطاعه ·

الحصون

وكان الزعماء يقيمون في حصون عالية اشبه بقلاع تشاد غالباً على روابٍ مرتفعة للاشراف على المسالك البعيدة محاطة بجدران غليظة واسعة السمك وفي زوايا تلك الحصون وعلى حافتي ابوابها تقام القلل والمزاغل للدفاع كما تحفر الخنادق بين جدرانها العظيمة فيجتازونها على جسور متحركة · وكانت الاوراق والخزينة تحفظ في داخل الحصن وقد يبنى به السراديب والسجون والمخازن وعنابر الذخيرة والاصطبلات · وكان بامكان المحصور الخروج من القلعة بواسطة طريق سري داخل الارض ينتهون به الى غاب او مكان حصين · ولم يكن من السهل بالنسبة لوسائط تلك الايام اقتحام الحصن بالسلاح · وقد ظهر بحكم الحاجة وطبيعة

يتجاوز عددهم الستة او السبعة كدوقيات بورغونيا ودوقيات آكيتان وكونتيات شامبانيا وكونتيات الفلاندر

مرسوم التوجيه

وكانوا يقومون بمراسيم خاصة عند صدور مرسوم التوجيه اي حينما يوجه احد المتبوعين اقطاعاً على احد التابعين ويكون التابع مكلفاً بتقديم مقدار معين من نتاج اراضيه فضلاً عن حراسة القصر والقيام بالخدمة العسكرية ويتعهد المتبوع اثناء ذلك بحمايته ازاء كل طارئ . وكانوا يسمون مرسوم التوجيه انفيستيتور وهذا لم يكن رسالة مكتوبة غالباً بل كان رمزاً تذكرياً كغصن شجرة او قطعة سلاح يتقبلها التابع وهو يقسم يمين الاخلاص لمولاه .

انواع الاراضي

وكانت الاراضي كأصحاب الزعامة المتسلسلة التي اوضحناها فكانت تقسم الى قسمين اصليين

الاول : الاراضي المستثناة من التكاليف الاميرية وهي الاراضي التي يستولي عليها زعماء الاقطاع ومن هذا القبيل الاراضي الخاصة بالملك وكبار الامراء فان اصحابها يحوزونها ويزرعونها لانفسهم غير انه لم يكن احد كبار الامراء مالكاً خاصاً في احدى الايالات مثلا عدا قطعة لاصغر متبوع في تلك المقاطعة حتى ان ملوك فرنسا لامتلاكهم جزء صغير في الاقطاعات التابعة لكنيسة (سان دوني) كانوا يعدون كاتباع لرئيس رهبان تلك الكنيسة .

وكان الناس يشعرون بالحاجة ماسة للدخول بحماية احد زعماء الاقطاع الاقوياء يعرضون عليه تبعيتهم واراضيهم للحصول منه على مرسوم خاص وفي عهد شارلمان اجبر كل شخص حر (اي غير تابع) للدخول بحماية احد المتبوعين ولم يبق بذلك احد من اصحاب الارضين الا وصار الى التابعية .

مراتب الاشخاص

والناس في النظام الاقطاعي ثلاث فئات :

الاولى — فئة المشهورين من تابع ومتبوع الذين يتبع صغيرهم كبيرهم في الخدمة العامة والتكاليف المالية واذ كان التابع مرتبطاً بمتبوعه ارتباطاً شخصياً مباشراً فقد كانت الروح الشخصية هي السائدة في هذا النظام وهذا كانت تضعف به السلطة العامة اما المتبوع الاكبر فهو الملك وكان من المتبوعين من هو دونه باربع او خمس درجات .

الثانية — فئة الفلاحين والسوقة وهؤلاء ليسوا من اصحاب المرسوم ويقومون بدفع ضرائب